مقالات
ISSN: 2090 – 0449 Online
ISI International Scientific Indexing, [8140].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [1.3].

تاريخ الحرية وأصول فكرة الوحدة الأفريقية
قراءة في تصفية الاستعمار ونشأة الجامعة الأفريقية

حمزة بوحدايد
باحث في سلك الدكتوراه تخصص التاريخ المعاصر
جامعة ابن طفيل
القنيطرة – المملكة المغربية

مُلَخّص

تتحدث المقالة عن العلاقة التي صاحبت رغبة الشعوب الإفريقية في التحرر وتلك الإرهاصات الأولى للزنوجة والزنوج في العالم، ووفق منهج تاريخي استقصائي للأحداث التاريخية. قسمنا المقالة، إلى محورين رئيسيين، قدمنا في الأول: قراءة في تصفية الاستعمار بالقارة الأفريقية والعوامل التي أثرت في ذلك، فالاستعمار كان يحمل في ذاته عامل هدم ذاتي، فهو يسير في ذاته نحو هلاكه؛ أي حتمية نهاية الاستعمار، فكانت حركات التحرر هي الثمرة التي أنضجت حتمية التحرر، فتحررت الشعوب الإفريقية بداية من الأربعينيات. ما يلفت الانتباه أن تحرر الشعوب الإفريقية أيضا صاحبته فكرة زنجية ، تعود لتنامي الوعي القومي الزنجي في العالم، لما تعرض له السود من ميز عنصري في أمريكا أو جنوب إفريقيا أو غيرها من البلدان الأوربية، وهو الأمر الذي دفع الأفارقة والسود في العالم لتمهيد تأسيس حركة عالمية احتضنها السود أولا ثم توارثها الأفارقة للدفاع عن قضاياهم وتحقيق إستقلالاتهم وعقدوا المؤتمرات الإفريقية فيما عرف بالجامعة الإفريقية التي كانت الأساس الحقيقي لتطور حركات التحرر الإفريقية وزرع الوعي القومي الإفريقي، وهو ما عالجناه في المحور الثاني. خلاصة القول إن إفريقيا ما كانت للتسير نحو حتمية الاستقلال والوحدة لولا فتيل الجامعة الإفريقية التي وفرت أرضية خصبة للفكر التحرري والوحدوي الإفريقي، باحتضانها لجيل من الزعماء والسياسيين، الذين قادوا القارة الإفريقية منذ منتصف القرن العشرين إلى الحرية والسير نحو وحدة الشعوب الإفريقية.

بيانات الدراسة:

تاريخ استلام البحث: ١٦ مارس ٢٠٢٠
تاريخ قبـول النشـر: ١٣ مايو ٢٠٢٠

كلمات مفتاحية:

الجامعة الإفريقية؛ الوحدة؛ الزنوجة؛ العنصرية؛ الشعوب الإفريقية

معرِّف الوثيقة الرقمي:

DOI 10.21608/KAN.2020.167566

الاستشهاد المرجعي بالمقال:

حمزة بوحدايد. "تاريخ الحرية وأصول فكرة الوحدة الإفريقية: قراءة في تصفية الاستعمار ونشأة الجامعة الأفريقية".- دورية كان التاريخية.- السنة الثالثة عشرة- العدد الثامن والأربعون؛ يونيو ٢٠٢٠. ص ٨٧ – ٩٤.

Official website: http://www.kanhistorique.org
Twitter: http://twitter.com/kanhistorique
Facebook Page: https://www.facebook.com/historicalkan
Facebook Group: https://www.facebook.com/groups/kanhistorique

Corresponding author: hamzabouhdaid@gmail.com
Egyptian Knowledge Bank: https://kan.journals.ekb.eg
Editor In Chief: mr.ashraf.salih@gmail.com
Inquiries: info@kanhistorique.org

Open Access This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (https://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0), which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

نُشرت هذه الدراسة في دَورِيةُ كَان التَّارِيْخية للأغراض العلمية والبحثية فقط، وغير مسموح بإعادة النسخ والنشر والتوزيع لأغراض تجارية أو ربحية.

مُقدِّمَةُ

ساعد التراكم الكبير الذي عرفه القرن العشرين في ميادين مختلفة، الشعوب التي خضعت للاستعمار الأوروبي وعلى رأسها القارة الإفريقية إلى أن تتجه نحو فك أغلال المستعمر عن أراضيها وتنال حريتها، فجاءت سنوات التحرر لتثبت أن عصر الاستعمار قد ولى وأن شروطه الإنتاجية صدأت، فأصبح الاستقلال الصفة البارزة، مُعلنا بذلك ولادة إفريقيا المستقلة، فلم تدخل سنة ١٩٦١ إلا وكانت معظم الدول الإفريقية قد حصلت على الاستقلال وطردت الجيوش الأجنبية، غير أن خروج الاستعمار لم يكن يعني نهاية للمشاكل وما ترتبت عنه السياسات الاستعمارية المتتالية التي نهبت إفريقيا وأجهضت تطورها التاريخي العادي، وإنما كان يعني بداية لتحمل مسؤولية حقيقية في استقلال حقيقي، وهو ما تحملته عدة قيادات إفريقية، ذهبت بأفكارها إلى أن إفريقيا عليها أن تتوحد وتجتمع تحت راية واحدة، فبدأت تبزغ تلك النوايا إلى الوجود، بعدما استفادت من تجارب من سبقها في الاحتماء ضد العدوان الرأسمالي والعنصري "الجامعة الإفريقية" Pan Africanism، التي نشأت في العالم الجديد كما يصفها مادهو بانيكار Maadhu Panikkar على أنها: "هبة العالم الجديد للعالم القديم"[١].

كان للجامعة الإفريقية السبق في مناهضة الإمبريالية ومظاهرها العنصرية ضد الإنسان الأسود، فكانت بمثابة إرهاص للسير بإفريقيا ككتلة متحدة ضد رأسمالية الإنسان الأبيض. فكيف تحرر الأفارقة ليفكروا في وحدة الشعوب الإفريقية؟ هل جاء تحررهم بلا تفكير تاريخي؟ أم أن تحرر الأفارقة هي فكرة تاريخية تعود لأصول الجامعة الإفريقية؟ تبقى هذه فرضيات سنحاول الإجابة عليها في هذه المقالة; وسننطلق من العام إلى الخاص من فكرة التحرر إلى أصول فكرة الوحدة، معتمدين أيضًا على المنهج التاريخي في سرد مؤتمرات الجامعة الإفريقية، فيما أن الهدف من البحث، إزالة الضبابية عن فكرتين تاريخيتين في القارة الإفريقية ومدى علاقة بعضهما ببعض؛ فكرة الجامعة الإفريقية وعلاقتها بالقارة الإفريقية واستقلال الشعوب الإفريقية وعلاقة الجامعة بوحدة الشعوب الإفريقية. فهي دراسة تسرد مراحل استقلال القارة بحثًا عن الأساس التاريخي لتصفية الاستعمار.

أولاً: تصفية الاستعمار

ارتبطت الدعوة إلى الوحدة الأفريقية برغبة الشعوب الإفريقية في التحرر من نير الاستعمار وتصفيته، فكانت أية وحدة أفريقية رهينة استقلال شعوبها "إلى أن يتم القضاء التام على جميع أشكال ومظاهر الاستعمار في أفريقيا، لا يمكن للثورة الأفريقية أن تتعايش مع الاستعمار"، كما عبر عن ذلك الزعيم الغاني كوامي نكروما Kwame Nkrumah[٢] بمعنى أن أفريقيا لا يمكن أن تتقدم في ظل استمرار مظاهر الاستعمار والتبعية للدول الاستعمارية. ومن ثم فلا يمكن لأفريقيا أن تقوم موحدة إلا في ظل قارة إفريقية متحررة. فالتقت رغبة إنهاء الاستعمار برغبة توحيد السود في إطار الجامعة الأفريقية، التي كانت الإرهاصات الأولى للوحدة الأفريقية.

شهدت المستعمرات في مختلف أنحاء العالم منذ القرنين التاسع عشر والعشرين تطورات مهمة أدت إلى حصول العديد من هذه الدول على استقلالها، ولعل ما خرجت به نهاية الحرب العالمية الثانية بالنسبة لأفريقيا والأوضاع الجديدة للقوى الدولية حتم على القوى التقليدية (فرنسا وبريطانيا) الخروج من الأقطار التي احتلوها. هكذا انتهى زمن الاستعمار الطويل، وولدت دول جديدة واستقلت مناطق عديدة في العالم، لم يكن لها وجود على الخريطة الدولية. فجاء الاستقلال الذي كان أمرًا حتميًا لتطورات العالم.

جاء أول رد فعل تحرري بانفصال مستعمرات العالم الجديد عن القوى الأوربية، فانفصلت الولايات المتحدة الأمريكية عن الاستعمار الإنجليزي بعد حرب دامت ثماني سنوات عملا بمبدأ "أمريكا للأمريكيين"، وانتشرت الثورة بعد ذلك في مختلف أقطار أمريكا اللاتينية ضد الاستعمار الأوروبي، فالمستعمر فهم حقيقة القاعدة البيولوجية التي قال بها تيرقو Trugot، والتي مفادها أن المستعمرات التي بلغت حدا من النمو كالثمرة الناضجة، فمثلما تنفصل هذه عن أصل الشجرة، يطالب مواطنو المستعمرات بالانفصال عن الوطن الأم، بدافع من الوعي القومي، وهو ما جعل الدول الاستعمارية تراجع علاقاتها مع هذه المستعمرات، وانتهاج سياسة جديدة تتسم بالاحترام وتضمن المصالح للجميع، بيد أن هذه السياسة الجديدة، اقتصرت على المستعمرات التي يقطنها سكان من أصول أوربية، أما المستعمرات التي خضعت للاستعمار الأوربي منذ نهاية القرن التاسع عشر في أفريقيا وآسيا، فهي في نظر القوى الاستعمارية "ملحقات" يقطنها أهالي متخلفون سياسيًا واقتصاديًا لا يصلحون لإدارة وحكم أراضيهم[٣]، فدفعوا بسكان

تلك المستعمرات إلى ساحة الحروب والمعارك، فيما كان مصير البعض الآخر أن أخذ إلى المعامل والمصانع في أوربا ليعملوا فيها. ساعد وضع هؤلاء المحاربين والعمال بأن يحتكوا بالأوربي في أرضه ويتشربوا الحرية والديمقراطية، فأدى هذا الاحتكاك بالأوربي إلى المناداة والمطالبة بتطبيق الحرية والديمقراطية في بلدانهم الأصلية [٤]. وكان لتصريح ولسون بتاريخ يناير ١٩١٨ المتضمن لمبدأ حق الشعوب في تقرير المصير، الأثر الأكبر في السير نحو إنهاء تاريخ الاستعمار وإيقاظ القومية الأفريقية.[٥] دون إغفال الدور الذي لعبته ثورة أكتوبر الاشتراكية في بث روح الثورة على الدول الرأسمالية.[٦]

اتجهت الشعوب المستعمَرة إلى العمل التحرري الذي تركز في البداية على التربية السياسية والتوعية الثقافية للجماهير والمطالبة بإحداث إصلاحات عاجلة ذات طابع سياسي واجتماعي واقتصادي، غير أنه مع نهاية الحرب العالمية الثانية أصبح الاستقلال هو المطلب الوحيد لكل الحركات الوطنية في العالم، والذي ساعدت عليه مجموعة من التطورات التي أعقبت الحرب العالمية الثانية كالميثاق الأطلنطي* الذي نادى بحق الشعوب في تولي شؤونها وميثاق سان فرانسيسكو*[٧]، وقد ساهمت مجموعة من العوامل في تنامي الوعي القومي بأفريقيا، منها: السياسة الاستغلالية لشركات والحكومات الاستعمارية وانتقال الأفكار القومية للإنسان الأفريقي ووعيه بقضاياه، فضلاً عن المؤتمرات التي عقدها زعماء أسيا وأفريقيا[٨]، فكان هذا بمثابة عوامل أدت لولادة الوعي القومي التحرري للإنسان الأفريقي ووعيه بقضاياه وشعوره بحقه في الوجود، ويمكن أن نجمل أهم عوامل نهاية الاستعمار في النقط التالية:

- بداية الشعور القومي للأمم وتطور الأفكار القومية، بداية مع استقلال شعوب الأمريكيتين؛
- عدم وفاء الدول الاستعمارية بوعودها تجاه شعوب المستعمرات، خاصة ما تعلق بمشاركة هذه الشعوب في الحربين العالميتين مقابل وعود بالاستقلال؛
- المبدأ ١٤ من مبادئ الرئيس الأمريكي وودرو ويلسون Woodrow Wilson والذي نص على "حق الشعوب في تقرير المصير"، وظهر جليًا بعد أن تبناه كل من الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الأمريكية إبان الحرب الباردة بين المعسكرين، رغبة لاستقطاب الدول الحديثة الاستقلال إلى احد المعسكرين الشرقي أو الغربي؛ بل أكثر من هذا الاستقطاب، يشرح روجيه جارودي Roger Garaudy الأهداف الحقيقية لهذا المبدأ بالنسبة لأمريكا الذي ينعته ب: "الولسنية" في الحرية وتقرير المصير:" .. على أن ما يحدده ويلسون" بواجبنا الخاص"، تجاه كل شعب مستعمر وهو أن نعيد لهذا الشعب النظام والسيادة وندربه على القانون والتعود عليه و"إطاعته"، وهو ما يعني من الناحية العلمية الخضوع لـ "حقنا" في سرقة هذا الشعب واستغلاله...، يجب خلق المستعمرات أو الحصول عليها بحيث لا نهمل أو نتغاضى عن أصغر زاوية في العالم"[٩] ومنه يطرح سؤال: حول الغايات الحقيقية لهذا المبدأ؟
- تغير موازين القوى الدولية وتأكيد منظمة الأمم المتحدة على نفس مبدأ تقرير المصير، أما ما يمكن أن نجمله هو أن الاستعمار كان يسير في ذاته نحو هلاكه فهو يشتمل على عامل هدم ذاتي يعمل عمله فيه مهما طال أمده.[١٠] وهو ما اصطلح عليه جورج بوليتزر "بالدينامية الذاتية"[١١]، فالتسلسل القابع داخل النظام الرأسمالي، المتمثل في عدة عوامل وحاجات إنتاجية، هي من دفعت القوى الرأسمالية الصناعية للاستعمار، إلى أن يحدث انتفاؤها بسبب تطور الإنتاج الرأسمالي وتحوله من مرحلته الصناعية إلى مرحلته المالية، التي سترتبط فيها المستعمرات السابقة بالتبعية.

هكذا لم تدخل سنة ١٩٦٠م، حتى وكانت مجموعة من المناطق في أفريقيا قد تحررت وبانت كياناتها السياسية.

أدت هذه العوامل التي عرفتها أفريقيا إلى ولادة مجموعة من الدول وظهور كيانات سياسية جديدة في القارة الأفريقية، وأبرز هذه الدول: تشاد والنيجر ومالي وموريتانيا والصومال وأفريقيا الوسطى والكاميرون ونيجيريا وداهومي وتوكْو وفولتا العليا وساحل العاج والسينغال والكنكْو برازفيل والكْابون ومالاكْاش[١٢]، وقبل هذه السنة كانت قد استقلت كل من مصر وإثيوبيا وليبيريا وجنوب أفريقيا سنة ١٩٤٥[١٣] ثم ليبيا والسودان وتونس والمغرب وغانا وغينيا.[١٤]

وعلى الرغم من تحرر القارة الأفريقية من الاستعمار، إلا أنها دخلت في مرحلة جديدة، خلال النصف الثاني للقرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين، اتسمت في مجملها بالتخلف، الذي كان نتيجة لواقع إجهاض التطور الطبيعي للقارة الأفريقية، فعانت أفريقيا في المرحلة الجديدة من مشاكل عديدة، ظهرت جليا بعد خروج المستعمر، مما دفع الاقتصادي الفرنسي الفريد سوفي Alfred Sauvy بأن ينعت هذه الدول ببلدان "العالم الثالث"*، فأصبح خيار التكتل في زمن التكتلات

خيارًا لا مفر منه ولا غنى عنه من أجل تجاوز هذه المشاكل التي طرحها خروج الاستعمار، وبناء قطب اقتصادي وتكتل سياسي للدفاع عن مصالح القارة السياسية والاقتصادية وكذا تحقيق التنمية لشعوب القارة، فكان ما سيكون بظهور تحركات من أجل تأسيس وبناء الوحدة الأفريقية.

ثانيًا: أصول فكرة الوحدة

١/٢-الجامعة الأفريقية Pan Africanism

عانى الإنسان الأسود منذ نعومة أظافره في التاريخ بنوع من التمييز سرعان ما تطور في امتداده الزمني ـ بالأخص بعدما دشن البرتغاليون مدرسة الرق الحديثة ـ لظاهرة التحقير والعنصرية لكل ما هو أسود، وربط الأسود بكل ما هو قبيح، فالجهل بتاريخ الزنوج واختلاف العادات والحقد السلالي من قبل الأوروبيين نحو الزنوج، فضلا عن الرغبة في الاستغلال، كل هذه العوامل هيأت العقل الأوروبي للحط من قدر الزنوج عقليا وحضاريا، وأصبح الزنجي عندهم قرينا للتخلف والبدائية والانحطاط والقدرة العقلية المحدودة، فالأوروبيون كانوا يريدون تبرير استعمارهم لأوطان الزنوج وان يبرروا تجارة الرقيق[١٥]، هذه النظرة السائدة حول الإنسان الأسود، هي ما جعلت الفيلسوف الألماني هيغل يصدر أحكامًا انتقاصيَّة وتهميشية في حقِّ السود، حيث استَثناهم من عملية التطور. بقوله: "... أن الشخصية الزنجية تتميز بالافتقار إلى ضبط النفس، وتلك حالة تعجز عن أي حضور أو أي ثقافة، ولهذا كان الزنوج باستمرار على نحو ما نراهم اليوم"[١٦]

هذا التمييز العنصري الذي تعرض له الإنسان الأفريقي بسبب لون بشرته، فتح له مجال تنمية الوعي القومي الأسود ومحاولة الاتجاه نحو الوحدة، التي تعود أصولها إلى دعوة زنوج الولايات المتحدة الأمريكية وجزر الهند الغربية ـ مع بداية القرن العشرين ـ إلى تشكيل منظمات زنجية تدعو للعودة إلى أفريقيا ومنح الأفارقة حقوقهم كاملة أسوة بالبيض، فتطورت هذه الدعوات إلى المناداة بتأسيس الجامعة الأفريقية. ساهمت الجامعات الأمريكية بنشر الفكرة في أوساط الطلاب الأفارقة الذين درسوا في هذه الجامعات، عن طريق بروز مثقفين زنوج أمثال: وليام ادوارد ديبوا Williams Edward Dubois وماركوس **كارفي** Marcus Garvey، وجورج بادمور George Padmore وغيرهم من الذين نشروا الفكرة وروجوا لها محليا ودوليا[١٧]، وبما أن منشأ الفكرة كان خارج القارة الأفريقية، فقد اتسمت الجامعة منذ ظهورها بتعدد أراء الداعين إليها، ودعا من خلالها إدوارد ديبوا للاحتجاج الثقافي والأدبي للسود الذين يلاقون صنوف التمييز العنصري من البيض في العالم الجديد وأوروبا وفي موطنهم الأم بأفريقيا، فيما اعتبرها ماركوس **كارفي** تعبيرًا عن الاحتجاج السياسي، حيث دعا إلى إنشاء قوة للزنوج تقف جنبا إلى جنب مع قوة البيض والى وجود بيت اسود على غرار البيت الأبيض وقد أتيحت لماركوس **كارفي** فرصة تأسيس عدة جمعيات ومنظمات ذات طابع زنجي منها؛ العصبة الإمبراطورية للجامعات الأفريقية والتي وضعت شعار: "أفريقيا للأفريقيين" و"الرابطة العالمية لتقدم الزنوج" التي أسسها عام ١٩٠٤ في نيويورك و"الكنيسة الأرثوذكسية الأفريقية"، و"جمعية ممرضات الصليب الأسود" و"الفرقة الدولية الأفريقية" و"صحيفة العالم الزنجي" التي صدرت عام ١٩١٠ وقد قام **كارفي** بتوحيد المؤسسات والمنظمات السابقة في إطار مؤسساتي واحد، أطلق عليه "إمبراطورية الزنوج"[١٨].

أثار مشروع ماركوس **كارفي** اهتمامًا واسعًا في أوساط السياسيين والمثقفين في الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا، خاصة بين الشباب الأفارقة المقيمين في تلك البلدان، والذين يتابعون دراستهم في الجامعات الغربية، حيث لعب بعض هؤلاء دورًا فاعلاً في معركة تحرير أفريقيا خلال خمسينيات وستينيات القرن العشرين ومنهم الكيني جومو كنياتا Jomo Kenyatta والغاني كوامي نكروما[١٩] الذي رفض الاستعمار الجديد كما لم يكن يفصل بين استقلال أفريقيا ووحدتها عندما قال:" إن الاستقلال والوحدة أمران متلازمان، ولابد في عملية مجابهة الاستعمار الجديد من وحدة القارة الأفريقية، فعلاج جميع العلل الأفريقية من الفقر والاستعمار الجديد والبلقنة وعدم التوحيد والخلافات الثقافية واللغوية، إنما يتمثل في وحدة سياسية وجنس إفريقي متحد في ظل حكومة اتحاديه واحدة"[٢٠].

هكذا بدأ الفكر الوحدوي للإنسان الأسود خارج القارة الأفريقية، ويصف هذه النشأة مادهو بانيكار في كتابه "الثورة في أفريقيا" ص١٣٩: "أن الجامعة هي إحدى هبات العالم الجديد للعالم القديم"[٢١] كناية عن أصل الفكرة ومنشئها الأول في الولايات المتحدة الأمريكية وجزر الهند الغربية (جزر الكاريبي). وبالتالي لا يمكن لهذه الجامعة الأفريقية أن تبقى حبيسة منشئها، بل يجب أن تنتقل إلى القارة الأفريقية، وهذا ما عبر عنه ديبوا الذي ارتبط بعقد المؤتمرات الداعية لإنشاء الجامعة الأفريقية حينما قال: "تحقيق العدالة للسود، لن تكون ممكنة، إلا إذا خرجت قضية السود من أمريكا وربطت بقضية الشعوب

الأفريقية".[٢٢] فنشأت الجامعة الأفريقية كتعبير عن كفاح شعب أفريقيا ضد التفرقة العنصرية[٢٣].

٢/٢-مؤتمراتها

تبلورت حركة الجامعة الأفريقية من خلال مجموعة من المؤتمرات التي عقدت خارج القارة بداية من مؤتمر لندن سنة ١٩٠٠ إلى مؤتمر مانشستر سنة ١٩٤٥[٢٤]، غير أن هناك اختلافًا بين الباحثين حول عدد المؤتمرات وتاريخ ظهورها، فيما أعتبر مؤتمر لندن ١٩٠٠، الذي دعا إليه المحامي الزنجي الأمريكي هنري سلفستر وليامز* Hennery Silvestre Williams، الانطلاقة الأولى لفكرة الجامعة الأفريقية.

تميزت هذه المؤتمرات بانعقادها خارج القارة وكونها نظمت تحت رعاية دُعاتها الزنوج الأوروبيين والأمريكيين ذوي الأصول الإفريقية وفي العواصم الغربية، التي تحتل حكوماتها إفريقيا احتلالاً مباشرًا وتمارس ضد الشعوب الأفريقية أبشع السياسات العنصرية، كما نسجل على هذه المؤتمرات أنها لم ترفع دعوة الاستقلال عن الحكم الاستعماري الغربي أو الثورة المسلحة عليه[٢٥]. وكانت أول هذه المؤتمرات:

(٢/٢) ١-مؤتمر لندن ١٩٠٠:

عقد المؤتمر في لندن سنة ١٩٠٠ وحضره عدد محدود من الأفارقة[٢٦] إلى جانب ممثلين عن زنوج العالم الجديد وأوروبا، كان من أشهر الحاضرين وليام ديبوا وماركوس **كارفي**، وقد انتهى المؤتمر بتوصيات عامة يمكن حصرها في نقطتين[٢٧]: الدعوة إلى التخفيف من التفرقة العنصرية التي تمارسها الدول الغربية ضد الأفارقة في أوروبا والعالم الجديد؛ دعوة زنوج العالم للدخول في حركة زنجية عالمية مع زنوج إفريقيا لتحسين أوضاع الزنوج والأفارقة وخلق أسس تربطهم.

وبناءً على توصيات المؤتمر يمكن القول إن مشاكل القارة الأفريقية وهمومها لم تكن حاضرة بشكل واضح، وانصبت نقاشات المؤتمر بشكل رئيس على معاناة السود من التمييز العنصري، كما أن المؤتمر لم يخرج بتوصية: دعوة الشعوب الأفريقية إلى الثورة على الاستعمار أو الاستقلال. لكن والحق يقال إن المؤتمر كان بمثابة نقطة لانطلاق الأفارقة نحو عقد مزيد من المؤتمرات.

(٢/٢) ٢-مؤتمر باريس ١٩١٩

تزامن المؤتمر مع انعقاد مؤتمر الصلح بالعاصمة الفرنسية وشارك فيه حوالي ٥٧ ممثل من المستعمرات بأفريقيا والولايات المتحدة الأمريكية وجزر الهند الغربية (جزر الكاريبي)[٢٨]، خرج هذا المؤتمر بتوصيات مهمة: وضع المستعمرات الألمانية تحت الحماية الدولية (الانتداب) إلى غاية حصولها على الاستقلال؛ حق الأفارقة في ملكية الأرض؛ إلغاء التفرقة العنصرية؛ مشاركة السكان المحليين لأفريقيا في شؤون الحكم وإدارة بلدانهم؛[٢٩] الدعوة إلى إنشاء مدونة قانون دولي لحماية المواطنين بالقارة الإفريقية.[٣٠]

وقد خرج هذا المؤتمر مقارنة مع المؤتمر السابق، بتوصيات أكثر تقدمية، على الرغم ما يسجل عليه من توظيف لمفاهيم تتصف بطموح محدود، خاصة عندما تدعو لبسط الحماية الدولية (الانتداب) على المستعمرات الألمانية في إفريقيا وهي ذريعة وغطاء كرسته عصبة الأمم لإعادة توزيع المستعمرات الألمانية على الدول المنتصرة في الحرب العالمية الأولى.

(٢/٢) ٣-مؤتمر لندن/ بروكسل / باريس ١٩٢١

نتيجة لما مرت به أوروبا بعد الحرب العالمية الأولى ونظرًا للظروف الأمنية، تنقل المنظمون بين العواصم الأوروبية حتى استقر بهم المقام بالعاصمة الفرنسية باريس، حيث بلغ عدد المشاركين ما يزيد عن مائة عضو، يمثلون السود من العالم الجديد وأوروبا وأفريقيا، وترأس جلسة المؤتمر، الأمريكي وليام ديبوا، وخرج المؤتمر بالتوصيات التالية: المساواة المطلقة بين الأجناس؛ إنشاء منظمة العمل الدولية لإيجاد مكتب، تكون مهمته حماية الأيدي العاملة السوداء؛ إدخال أعضاء من السود في لجان عصبة الأمم؛ الدعوة إلى ضرورة منح الأفارقة الحكم الذاتي ضمن سلطة: دولة المستعمر.[٣١]

يُلاحظ من خلال هذا المؤتمر مدى التطور الكبير الحاصل في مطالب المؤتمرين، في حين كان التطور الأبرز التأكيد على الدعوة الصادرة من مؤتمر باريس ١٩١٩ بشأن مشاركة الأفارقة في حكم بلدانهم، كما لا يمر أن نطرح تساؤلا حول المقصد الحقيقي للبند المتعلق بإنشاء منظمة عمل دولية لحماية اليد العاملة السوداء، هل هو حقا ما يظهر من الكلام أم الأمر لا يعدو سوى رغبة أوروبية في جلب اليد العاملة؟ بعدما راح في الحرب العالمية الأولى الآلاف الأوروبيين من القادرين على العمل. فكما هو معروف أن الشروط الاقتصادية هي من تحدد ما هو فوقي، بمعنى أن الرغبة في حماية اليد العاملة كان ضرورة إنتاج أوروبية وما ذاك البند إلا ما عبر عنه الجاحظ قديمًا حينما قال: "فلا تذهب إلى ما تريك العين واذهب إلى ما يرك العقل. والأمور حكمان، حكم ظاهر للحواس وحكم باطن للعقول والعقل هو الحجة".[٣٢]

(٢/٢) ٤-مؤتمر لندن/ لشبونة ١٩٢٣

جاءت توصيات هذا المؤتمر مكررة لما صدر عن المؤتمرات السابقة دون أن يشهد تغيرًا على مستوى القيادات السياسية، ومن هذه التوصيات: إشراك الأفارقة في إدارة شؤون بلدانهم؛ اعتبار التفرقة العنصرية عدوة للسلام والتقدم.

(٢/٢) ٥-مؤتمر نيويورك ١٩٢٧

يعتبر أول مؤتمر عقد في الولايات المتحدة الأمريكية التي انطلقت منها فكرة الوحدة الأفريقية[٣٣]، شارك فيه حوالي ٢٠٨ مندوب[٣٤] وظهرت فيه فكرة التعاون بين الشعوب الملونة في العالم والخروج من إطار الزنجية إلى طلب التعاون بين الزنوج والمصريين والهنود والصينيين، في حركة عامة لتحررهم جميعا من الاستعمار والتفرقة العنصرية[٣٥]، وقد دعا المؤتمرون إلى عقد المؤتمر القادم في تونس اعترافا منهم لأول مرة بدور شمال القارة غير الزنجية في حركة التحرر الأفريقية، غير أن الخطوة قوبلت برفض السلطات الفرنسية[٣٦]، ويمكن القول أن المؤتمر كان يسعى حسب ما ورد عند كوامي نكروما:

تعزيز رفاه ووحدة الشعوب الأفريقية والتي يعود أصلها إلى أفريقيا في كل أنحاء العالم؛ السعي للتعاون بين أفريقيا والشعوب الأخرى التي تشارك الأفارقة نفس التطلعات[٣٧] و يمكن أن نضيف أيضا على أن المؤتمر بدأ يعترف بدور شمال أفريقيا في مسار حركة التحرر الأفريقية. وإن رفضت السلطات الفرنسية أن يعقد مؤتمر على الأراضي التونسية، لكونها صاحبة السلطة خلال هذه الفترة، ومثل هذه المؤتمرات كانت تهدد مستعمراتها ومصالحها.

(٢/٢) ٦-مؤتمر مانشستر ١٩٤٥

يعتبر هذا المؤتمر من أهم مؤتمرات الجامعة الأفريقية من خلال قراراته لبلورة مجموعة من التوجهات التي فتحت باب عقد المؤتمرات داخل القارة الأفريقية، بل يمكن أن نعتبر مؤتمر مانشستر بمثابة الانطلاقة الحقيقية لأفريقيا من أجل الاستقلال والوحدة وهذا الاتجاه نحو الوحدة كان يقتضيه أولا الاستقلال كما قال كوامي نكروما: "... استقلال وطني يؤدي إلى الوحدة الأفريقية..."[٣٨].

عقد المؤتمر برئاسة وليام ديبوا تحت شعار: "يا شعوب المستعمرات اتحدوا"، وقد برز في المؤتمر عدد من القيادات الأفريقية التي تولت زمام الأمور في أفريقيا[٣٩] أمثال: كوامي نكروما (ساحل الذهب) و جومو كنياتا (كينيا) وزيكوي (نيجيريا) وسامرا هافر(سيراليون) وتم اختيار نكروما وسيكوتوري سكرتيرين للمؤتمر.[٤٠]

أثبت هذا المؤتمر نضج الحركة الأفريقية خاصة في الدول سالفة الذكر، وأصبحت حركة ذات اتجاهات واضحة، كما أصبحت معاداة الاستعمار والإمبريالية هي الخط الرئيس للحركة الأفريقية، فلأول مرة يخرج المؤتمر بتوصيات الاستقلال الوطني، لكونه الحل الوحيد والأوحد لتحقيق أماني الشعوب الأفريقية، كما ذهب المؤتمر إلى حد التلويح باستخدام القوة لتحقيق ذلك، وأدانت قراراته احتكار رأس المال وتسخير الثروة والصناعة من أجل الربح الخاص فقط، كما رحب المؤتمر بالديموقراطية الاقتصادية لكونها الديموقراطية الحقيقية وطلب بالاستقلال الاقتصادي إلى جانب الاستقلال السياسي.[٤١]

وخلال مؤتمر مانشستر يمكن ملاحظة أن الأفكار الاشتراكية بدأت تتسرب إلى عقول قادة الحركة الأفريقية.[٤٢] وهو ما يؤكد طبيعة المؤتمرين، فعلى عكس كل المؤتمرات السابقة التي كانت تحت رعاية الطبقة المتوسطة والمثقفين والإصلاحيين البورجوازيين، فإن مؤتمر مانشستر، قد حضره العمال والنقابيون والمزارعون والطلاب، بل أكثر من هذا فمعظم الحضور كان من الأفارقة.[٤٣]

يُعَدّ هذا آخر مؤتمر عقدته الجامعة الأفريقية خارج القارة، حيث تحولت من فكرة عرقية للسود إلى مطلب سياسي واضح[٤٤] ما كان يعني أنها لم تعد جامعة للزنوج فقط، بل أضحت حركة تمثل كل الشعوب الأفريقية المستعمرة، فما يجمع الأفارقة ليس هو اللون أو التاريخ أو اللغة أو الدين أو الجنس، فأفريقيا ليست أمة واحدة، بيد أن التاريخ الاستعماري هو من يقضي بالتضامن الإفريقي وعليه بنيت مبادئ الشخصية الأفريقية لمواجهة الاستعمار[٤٥] وهو ما عبر عنه أيضًا نكروما بقوله: "أنا مقتنع بأن القوى الاستعمارية صنعت ما يوحد أكثر مما يفرق حتى الآن"[٤٦] في رده على أولئك الذين يصرون على أن إفريقيا لا يمكن لها أن تتوحد لافتقادها شروط الوحدة سالفة الذكر.

خَاتِمَةٌ

تميزت الجامعة الأفريقية إذن بكونها نشأت خارج الأراضي الأفريقية، وساهم فيها زنوج العالم الذين ما زالت الرابطة بأفريقيا تغذي شعورهم، فجاءت الجامعة لتعزز وحدة السود إثر التمييز العنصري الذي استهدفهم في كل مكان، بعدما تعززت بمؤتمرات وضعت فيها مطالبها وأسس حركتها. لعل أهم ما يميز كل هذه المؤتمرات التي كان أغلبها في بلدان اوروبية، أنها بحثت عن استقلال القارة الأفريقية من نير الاستعمار الأوروبي وكذا مجابهة الميز العنصري بوحدة السود، وسرعان ما انتقل هذا الفكر التحرري والوحدوي إلى بلورته من خلال مؤتمرات داخل إفريقيا من أجل إتمام عمل الجامعة الأفريقية، فكانت المؤتمرات التأسيسية والمجموعات الأفريقية التي وضعت لبنة بناء منظمة الوحدة الأفريقية.

وفي الأخير لا يسع المقام إلا لنقول إن إفريقيا استطاعت بمساهمة حثيثة من أفكار الزنوجة للتخلص من براثن الاستعمار وتتحرر من سلاسله القابضة على شعوب حرة، جينيا من أمهاتها، في قول الخليفة الراشدي عمر عبرة للتاريخ: "فمتى استعبدتم الناس وقد ولدتكم أمهاتكم أحرار". وما لا شك فيه أن فكرة التحرر الإفريقي، فكرة تاريخية بامتياز، منذ المد الأسود في العالم مع تيار الزنوجة في جزر الهند الغربية إلى أن وصل إلى تربته الأصلية في القارة الإفريقية حيث تحول إلى مدفع مصوب ضد الاستعمار، من أجل استقلال الشعوب الإفريقية.

الهَوامِشُ:

(١) بانيكار مادهو، **الثورة في أفريقيا**. ترجمة: روفائيل جرجس، المؤسسة المصرية للترجمة والنشر، القاهرة،١٩٦٤، ص.١٣٩.

(2) Kwame Nkrumah, **Africa Must Unite**. Printed in Great Britain, New York, 1963, p. 204.

(٣) زوزو عبد الحميد، **تاريخ الاستعمار والتحرر في أفريقيا وأسيا**. ديوان المطبوعات الجامعية،٢٠٠٩، ص.٥ـ٦.

(٤) نفسه، ص.١٢.

(٥) رياض زاهر، **استعمار أفريقيا**. الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥، ص. ٤٢٩.

* **الميثاق الأطلنطي**: هو إعلان مشترك أصدره رئيس وزراء بريطانيا ونستون تشرشل ورئيس و.م.أ، فرنكلين رزوفلت يوم ١٤غشت١٩٤١ ووضح الميثاق أهداف الحلفاء. يُنظر: محمد حسن الوزاني، **مذكرات حياة وجهاد**. مؤسسة محمد حسن الوزاني، ١٩٨٦، ص.١٨٠.

* **ميثاق سان فرنسيسكو**: ميثاق أصدر خلال مؤتمر سان فرنسيسكو يونيو١٩٤٥ بموجبه تأسست منظمة الأمم المتحدة. ينظر: ميثاق الأمم المتحدة

(٦) رياض زاهر، مرجع سابق، ص.٤٣١.

(٧) زوزو عبد الحميد، مرجع سابق، ص.٨ـ٩.

(٨) الجمل شوقي وإبراهيم عبد الله عبد الرازق، **تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر**. دار زهراء، الرياض. ص ٣٣٦ـ٣٣٧.

(٩) جارودي روجيه، **أمريكا طليعة الانحطاط**. ترجمة: مروان حمواي، ط.١، دار الكتاب للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٨، ص.٣٠ـ٣١.

(١٠) زوزو عبد الحميد، مرجع سابق، ص.٩.

(١١) بوليتزر جورج، **مبادئ أولية في الفلسفة**. ترجمة: فهمية شرف الدين، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ١٩٦٩، ص.١٣٤.

(١٢) الجمل شوقي وابراهيم عبد الله عبد الرازق، مرجع سابق، ص.٣٣٧.

(13) Abdalla asaaf, **le maroc et l'afrique apres l'independance**. institut des etudes africains,1 er éd, 1995, p.111.

(١٤) الجمل شوقي وعبد الله عبد الرازق ابراهيم، مرجع سابق، ص.٣٣٧.

* **العالم الثالث**: مجموع الدول التي هي في طريق النمو والتي غالبًا ما تحررت من الاستعمار بعد الحرب العالمية الثانية، وتمثل ثلثي سكان العالم تقريبًا. يُنظر: المسعودي ليلى وجولي هوبير، **قاموس الدبلوماسية**. منشورات عكاظ، الرباط،٢٠٠١، ص.٢٨٥.

(١٥) سعودي محمد عبد الغني، **قضايا افريقيا**. سلسلة عالم المعرفة، عدد ٣٤، الكويت، ١٩٨٠. ص. ١٥٦.

(١٦) هيغل، **محاضرات في فلسفة التاريخ، العقل في التاريخ**، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، ط.٣، دار التنوير للطباعة والنشر، ٢٠٠٧، ج:١، ص١٨١.

(١٧) الطاهر كرفاع المختار، **فكرة الوحدة الأفريقية وتطورها التاريخي**. المجلة الجامعة، عدد: ١٥، ٢٠١٣، ج: ٣، ص.١٣٦.

(١٨) نفسه، ص.١٣٧.
(١٩) نفسه، ص.١٣٧ـ ١٣٨.
(٢٠) اسبر آمين، **إفريقيا سياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا**. ط.١، دار دمشق، ١٩٨٥، ص.١٢١.
(٢١) بانيكار مادهو، **الثورة في أفريقيا**،مرجع سابق ص.١٣٩.
* **هنري سيلفستر ويليامز**: محامي من ترينداد، يعود له الفضل في تنظيم الجامعة الأفريقية لأول مؤتمراتها بلندن، يُنظر: آدو بواهن، **تاريخ أفريقيا العام**، أفريقيا في ظل السيطرة الاستعمارية (١٨٨٠ـ١٩٣٥)، اليونسكو، ١٩٩٠،ج:٧، ص.٧٧١.
(٢٢) كرفاع المختار، مرجع سابق، ص. ١٣٨.
(٢٣) الرفاعي عبد العزيز، **مشاكل أفريقيا في عهد الاستقلال**.ط.١، مكتبة القاهرة الحديثة، ١٩٧٠، ص. ١٦١.
(٢٤) نفسه.
(٢٥) كرفاع المختار، مرجع سابق، ص.١٣٨.
(٢٦) الجمل شوقي، مرجع سابق، ص.٤٣٣.
(٢٧) كرفاع المختار، مرجع سابق، ص. ١٣٨ ـ ١٣٩.
(28) Kwame Nkrumah , op. cit, p.133
(٢٩) كرفاع المختار، مرجع سابق، ص.١٤٠.
(30) Kwame Nkrumah , op. cit, p.١٣٣.
(٣١) كرفاع المختار، مرجع سابق، ص.١٤٠ـ ١٤١.
(٣٢) الجاحظ، **الحيوان**. تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الجزء الأول، ط:٢، ١٩٦٥، ص.٢٠٧.
(٣٣) نفسه، ص.١٤٢.
(34) Kwame Nkrumah , op. cit, p.134.
(٣٥) الجمل شوقي، مرجع سابق، ص.٤٣٣.
(٣٦) كرفاع المختار، مرجع سابق، ص.١٤٢.
(37) Kwame Nkrumah , op. cit, p.134.
(38) Ibid, p. 130.
(٣٩) فائق محمد، **عبد الناصر والثورة الأفريقية**. دار الوحدة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٤، ص.١٨.
(٤٠) الجمل شوقي، مرجع سابق، ص.٤٣٤.
(٤١) فائق محمد، مرجع سابق. ص.١٨.
(٤٢) نفسه.
(43) Kwame Nkrumah, op. Cit, p.135.
(٤٤) كي ـ زيربو جوزيف، **تاريخ إفريقيا السوداء**، ترجمة: يوسف شلب الشام، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٤، ج:٢، ص.١١٥٦.
(٤٥) الرفاعي عبد العزيز، مرجع سابق، ص.١٦١.
(46) Kwame Nkrumah , op. cit, p .132.